لغة المرأة في شعر عمر بن أبي ربيعة

الدكتورة نجود عطا الله الحوامدة

جامعة جرش

(في تحليل الشعر الأموي)

تقديـــــم البحث ٢٠١١/١١/١٦
قبول نشر البحث ٢٠١١/١٢/٧

الملخص

يتقصى البحث لغة المرأة وتعابيرها، في حوارات عمر مع الحبيبة وصويحباتها، بحضوره، أوحين يختلين في مجلسهن.

ويشكل الحوار في شعرعمر عماد بناء القصيدة العمرية، ويمدنا بشواهد حول ما يشيع في لغة المرأة التي يعنى بها البحث، فهذه اللغة ذات صلة بطبيعتة المرأة وثقافتها، ومرتبطة بألفتها لحياة الحاضرة، وتبرز في موضوعات بعينها: كالتمني والقسم والدعاء والحلف والاستحلاف والعتاب، والتفدية، وفي هذه اللغة ألفاظ تنفرد بها المرأة، وإشارات وحركات للجسد تعرف بمصطلح اللغة غير المنطوقة.

وهكذا يكون شعر عمر وثيقة أدبية حضارية تعين الدارس على مزيد من الفهم لمجتمع المرأة الحجازية ولغتها بخاصة.

The Language of Women in the Poetry of Omar bin Abi Rabia

ABSTRACT

This paper investigates the language and expressions used by women in Omar's dialogues with the beloved and her girlfriends whether in his presence or when they are alone.

The dialogue in Omar's poetry represents a pillar in the structure of his poem and supplies evidence about what is common in the language of women, which is the core of this research. This is relevant to woman's nature and culture and is related to her familiarity with the urban life which is highlighted in specific subjects, such as: wishful thinking, oath, praying and admonition. There are words in this language which are unique to women. There are also signals and body movements known as non-verbal language. Accordingly, Omar's poetry can be regarded as a literary and civilization document which helps scholars for better understanding of the society of the Hijazi , and in particular her language.

لغة حوار المرأة في شعر عمر بن أبي ربيعة:

ينطلق هذا البحث من فكرة أن للمرأة لغتها، التي هي نتاج ثقافتها ومحيطها وطبيعتها البيولوجية والنفسية، ومن ثم فإن لها أسلوبها ورؤاها، وإن كان كل ذلك يندرج في نسيج المحيط اللغوي الثقافي والأدبي، الذي تعيش فيه. وإذا لم يُتح، على نحو كاف، للمرأة أن تقدم نتاجها، عبر العصور الأدبية الماضية، بسبب من طبيعة الظروف الثقافية والسياسية والاقتصادية، فإن هناك عوامل ساعدت على الحفاظ على نماذج من أحاديث المرأة، مما يتيح للدارس الاطلاع على شيء غير يسير من لغتها.

ومن هذه العوامل التي ساعدت على مدِنا بحصيلة من شعر المرأة، شعر عمر بن أبي ربيعة، ويتميز شعره، بأنه يحتضن ظاهرة فنية لغوية مهمة، تتعلق بلغة المرأة وأسلوب أدائها، إذ تشتمل مقاطع كثيرة من قصائده على أحاديث ينقلها عمر (نصاً) عن حبيبته وصويحباتها، كما تراءى للبحث، وأيدّه دارسو عمر، كما يقوم غير قليل من بناء قصائده على حوار مباشر بينه وبينهن. ووصف عمر لحبيبته وأخبارها ولقائه إياها، وأترابها، يشغل حيزاً واسعاً من قصائده.

وينهض نقل عمر لأحاديث الحبيبة وصديقاتها، والحوار الذي يجري بينهن، والحوار الذي يديره مع المحبوبة على مفردات وتعابير خاصة بالنسوة. كما تتضمن هذه الأحاديث المنقولة جملاً مصوغة بأسلوب فيه رقة المرأة وطبيعتها وعاداتها. أما وصف عمر لحبيبته وصويحباتها، فينقل فيه الشاعر صور حركات وإشارات لا تصدر إلا عن النسوة، كلطم الخد والصدر، والعض على البنان وتقطيب الحاجبين، وتصنّع الخجل والخوف، وغالباً ما تردد النسوة عبارات بعينها تصاحب هذه الحركات والإشارات.

ومن ثم فإن شعر عمر قادر على تقديم صورة للغة المرأة في عصره، فضلاً عن إمكان تلمّس إيمائه إلى طبيعة لغتها في كل العصور. وهذه الصورة تشارك في توضيح فِكر القصيدة وصورها، فضلاً عن إسهامها في رسم مشهد أكثر وضوحاً لطبيعة المجتمع الأموي عامة، وطبيعة شعر عمر الحسي الذي عده (يوسف بكار) ظاهرة حضارية جديدة،ولمكانة المرأة فيه التي تجلت فيه(١).

وتكمن أهمية اختيار شعر عمر لدراسة هذه الظاهرة الفنية اللغوية، في أن هذا الشعر يُعد منجماً غنياً بلغة المرأة وأساليب تعبيرها.

ولعل لنرجسية عمر، وحبه لذاته، أثراً في هذه الوفرة من اللغة النسائية في شعره، ذلك أنه، بسبب هذه النرجسية، كثيراً ما يصوّر نفسه معشوقاً، تتحدث عنه النسوة، فهو ينقل أحاديثهن عنه، وحواراتهن بشأنه، ووصفهن لمظاهر وسامته ، وما يعانين من شوق إليه، وينقل أيضاً أساليبهن في الكيد به أحياناً، فضلاً عن الحوار الذي يديره عمر مع حبيبته، على نحوٍ مباشر بحضورها. كل ذلك، مع حرص عمر على نقل هذه الأحاديث والأوصاف والحوارات، باللغة التي تتحدث بها النسوة عادة.

وربما يعود ولع عمر بالنساء، وأجوائهن وأحاديثهن، ومعرفته بأحوالهن وحركاتهن، وحضور الألفاظ التي تتداولها النسوة عادة، في قصائده، إلى أنه بعد وفاة أبيه نشأ بين النساء، فأثرن فيه وأكسبنه ما اعتدن على تداوله من عبارات. وهذا سبب غياب لغة الشجاعة والفروسية، والجد، والتعابير والأوصاف التي تتصل بكل أولئك في شعره.

وتوفر لنا الرسائل التي تبعث بها إلى عمر حبيباته، رصيداً لغوياً مهماً، فعمر يحرص أيضاً على نقل فقرات من هذه الرسائل المرسلة، التي تحوي قِطَعاً أساليبهن وعباراتهن الخاصة بهن. وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال: هل للأنثى لغة خاصة حتى نتحدث عنها، ونتقراها، في شعر عمر؟.

لكل أمة لغة تميزها، وتحدد هويتها، يتحدث بها أبناؤها، ويبدع بها شعراؤها وشواعرها، على حدٍ سواء، غير أن هناك اختلافاً بين شاعر وآخر، وشاعرة وأخرى،من حيث المستوى الفني وصدق التجربة، بحسب الطبيعة والثقافة والموهبة والرقة والغلظة، ونجد عند شاعر أو شاعرة تعابير ومفردات وصيغاً تشيع في قصائده أو قصائدها، وتتكرر هذه الأساليب والصيغ والمفردات، على نحوٍ لا تجده عند سواهما.

(١) يوسف بكار: اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، دار الأندلس، ط٢، بيروت، ١٩٧٩، ص ٥٣.

* وينظر أمل نصير: صورة المرأة في الشعر الأموي، دار الفارس للدراسات والنشر، عمان، ص ١٦١–٣١٩.

لقد أصبح موضوع وجود التمايز اللغوي بين الجنسين محل إقرار كثير من اللغويين ودارسي اللغة[١]. ومن هنا يطرأ على الذهن سؤال آخر: أليس من المشروع أن نفتش في شعر المرأة عن أساليب ومفردات وصيغ تفرضها طبيعتها الثقافية، وتكوينها (البيولوجي)، وأسلوب عملها ومهامها في المجتمع؟.

إن الواقع الثقافي والأدبي واللغوي يمدنا بوفرة من المفردات والأساليب، والتعابير،لا نجد لها مثيلاً في لغة الرجال: كالولولة، والتفجع، والخفر، وما يصاحب ذلك من مفردات، وتعابير تختص فيها المرأة، ولا نجد لها مثيلاً في شعر الرجل بحال.

إن النسق اللغوي العربي شاهد على أن للغة طابعها الذكوري، ومن ثم فإن المرأة واقعة تحت سطوة هذا النسق. بل إن النسق الثقافي العربي بعامة ذو سمة ذكورية، مما جعل المرأة تحت وطأة الإحساس بهذه السطوة[٢]، وعبر تراكم التسلط الثقافي واللغوي، خلال العهود الطويلة، شعرت المرأة بضرورة أن يكون لها صوتها، وربما يكون هذا داعياً أن تتبلور الصيغ والأساليب التي تؤكد وجودها، وكينونتها الثقافية.

ولا بد من التنويه بأنه ليس من هدف هذا البحث تأكيد وجود (التمييز) بين لغة للمرأة ولغة للرجل، لغرض المفاضلة بين لغة جنس وجنس آخر، بقدر سعيه إلى تبيّن خصائص أسلوبية، نتوقع ظهورها في شعر المرأة، تمنحه طعمه ونكهته، ثم السعي إلى استقراء أثر النسق الثقافي، واللغوي السائد في شعر المرأة بخاصة، وسوف نتخذ من لغة المرأة في شعر عمر وسيلة لتحقيق هدف هذا السعي.

لغة الحوار في الشعر العمري:

يمثل الحوار عنصراً مهماً من عناصر بناء القصيدة العمرية، بل يفضي غالباً إلى تشكيل مشهد قصصي، أو إلى بناء قصة غرامية لها شخوصها وحدثها، فيكون بذلك عماد القصيدة،وإذ يشكل الحوار هذا العنصر البنائي المهم، فإنه يكون شاهداً على ريادة عمر في استغلال هذا الحوار في تجديد بناء القصة العربية.

وللحوار أهمية كبيرة في إبراز شخصية المتحدث وتحديد اللغة، التي يتحدث بها، لما يتميز به من مطاوعة للتكثيف، ومن عفوية وصدق وإيجاز وميل إلى لغة الحياة اليومية[٣]. و يمتلك عمر، براعة في توظيف الحوار لتجسيد شخصياته، ولا سيما النسوية، اللواتي يشكلن عماد مغامراته، وقصصه الغرامية، وبحسب رأي (عبد الفتاح نافع) فهو "أول من اختص بفن الحوار الشعري وأول من جعله من مقومات شعره، ومن ركائز فنه الأساسية، ثم عمد باستمرار إلى الرقة والسهولة ،والإيضاح للتعبير عن عواطف المحبين ووصف أحاديث النساء، وحوارتهن معا ، واستطاع أن يفضي إلينا بمشاعرهن وأحاسيسهن أكثر مما استطاع أي شاعر آخر، ولعل قيمة الحوار في شعر عمر تكمن في قدرته العجيبة على جعل شخصياته تتحرك، وتنطق ،وتشترك في عواطف الحب"[٤].

---

(١) عيسى برهومة، اللغة والجنس، ط ، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٢، ص ١١٥، ١١٩.

(٢) ينظر عيسى برهومة: اللغة والجنس، ٧١-٧٢، ١٠٥؛ وينظر أيضاً إسماعيل أحمد عمايرة: ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية والسامية، ط٢، دار حنين، ١٩٩٣م؛ وإبراهيم بركات: التأنيث في اللغة العربية، دار الوفاء، المنصورة، ١٩٨٨، ص ٣٣-٣٥. وينظر أيضاً عبد الله الغذامي: اللغة والمرأة، ثقافة الوهم مقاربة حول المرأة والجسد واللغة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٨، ص٤٢.

(٣) هناك تأكيد من كثير من الدارسين على أن عمر كان أول من أدخل الحوار على الشعر العربي بهذه الطريقة الفنية التركيبية، ينظر إميل ناصيف: عمر بن أبي ربيعة، جروس برس، لبنان، ١٩٩٢، ص ٤١-٤٢.

(٤) عبد الفتاح نافع: الحوار في غزل عمر بن أبي ربيعة، الأردن، ١٩٨٤، ص ٥.

ولا شك في أن للعامل الحضري أثراً في اتسام حديث النساء بالشفافية والرقة واللين[١]، وفي براعتهن في الحوار وإتقان التخاطب.

ويتجلى الحوار في شعر عمر، في صور عدة، أهمها الحوار المباشر مع الحبيبة، التي يبادلها الحديث، في شؤون الحب، أوتباريح الغرام، ومن هذه الصور، الحديث المنقول إلى عمر عن الحبيبة، عبر صويحباتها ، أو عبر الرسول، ومنها أيضاً الحوار، الذي يدور بين النسوة من صويحبات حبيبة عمر بحضوره، أو بغيابه، حين يتحدثن عن عمر وشوقهن إليه ، وإعجابهن به، أو حين يبحثن عن علاقته بإحداهن، وما جرى من هجر أو لقاء أو وعد بزيارة.

في كل ذلك يقدم لنا عمر الحوار بلغة نسائية، لأنه حريص على نقل الأحاديث، على النحو الذي جرت فيه، والذي يصور، بدقة وصدق، طبيعة ما يجري في اللقاءات من حوارات.

لغة الحوار المباشر مع الحبيبة:

يشكل الحوار المباشر، مع الحبيبة ،ظاهرة أسلوبية بارزة في الشعر العمري، بل هو ركن من أركان بنية قصيدته، وهو مترع بمفردات وتعابير وأساليب نسوية كثيرة، وينقل عمر فيه ما يدور بينه وبين الحبيبة من حديث عتاب، وإعجاب وإعراب عن الشوق، وتحديد مواعيد اللقاء، نقلاً مباشراً، معتمداً في الغالب صيغة (قالت، وقلت)، ويفترض أن يكون هذا النوع من الحديث المنقول أصدق تعبيراً عن لغة المرأة وأساليبها، في الحديث والحوار، لأنه منقول عنها مباشرة من عمر، وليس رواية ينقلها إليه الرسول أو إحدى صويحبات المحبوبة. ويشير (محمد مصطفى هدارة) إلى أن عمر "أجرى الحوار على لسان المحبوبة، وجعله واقعياً محضاً في لفظه وصياغته وإيقاعه"[٢]، ويمكن أن نعد، من هذا القبيل، ما يلفظه عمره من حديث حبيبته، وهي تحدث صديقاتها بشأنه عن قرب، أو حين يمر بهن عمر يتسمع ما يدور بينهن من أحاديث. وعمر حريص على نقل ما جرىبدقة،ومن ثم فإنه يعول على هذا النوع من الحوار، أن يمدنا بوفرة من الشواهد على لغة المرأة،وتعابيرها،وأساليب كلامها.

ويكتنز الحوار، في الأبيات الآتية بمفردات، وتعابير خاصة بالمرأة، ولا يمكن التصور بحال أن تصدر عن رجل، يقول عمر، ناقلاً بعضاً من حديثه مع حبيبته، في زيارة لها[٣]:

فلما دنا الإصباح قالت فضحتني   فقم غير مطرود وإن شئت فازدد

ويقول، من قصيدته الرائية المشهورة (أمن آل نعم)[٤]:

وقالت وعضت بالبنان فضحتني   وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر

وفي قصيدة أخرى، يقول[٥]:

حركتني ثم قالت جزعاً   ودموع العين منها تبتدر
قم صفيَّ النفس لا تفضحني   قد بدا الصبح وذا برد السحر

ففي مجتمع يتسم نسقه الثقافي بالذكورة تلاحق الفضيحة المرأة لأدنى ريبة، هذا فضلاً عن حكم العادات والتقاليد، التي لا تسيغ لقاء الحبيبين، وفي هذا تأكيد على أن المجتمع ما يزال محافظاً، وله سطوته

(١) ينظر شكري فيصل: تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٩، ص ٤٣٢.

(٢) محمد مصطفى هدارة: الشعر العربي في القرن الأول الهجري، دار العلوم العربية، بيروت، ١٩٨٨.

(٣) ديوان عمر: ٩٦/١.

(٤) م. ن: ١٠٧/١.

(٥) م.ن: ١٤٦/١.

على المرأة والرجل، فلم يعطِ المرأة من الحرية إلا النزر اليسير[١]. لذا نتوقع أن تتردد على لسان الحبيبة لفظة (فضحتني)، ولا (تفضحني) تحذيراً وتحوطاً ولوماً أيضاً. ولم نألف ورود مثل هذه اللفظة على لسان الرجل، والأمثلة كثيرة في شعر عمر، على تردد هذه اللفظة، والسياقات التي وردت فيها هذه اللفظة سياقات تشي بطبيعة عالم المرأة وأجوائها، فالحركات المصاحبة لقول هذه المفردات، حركات نسائية مثل: (قالت وعضت بالبنان)[٢]، ومثل هذه الحركة في الدلالة على انفعال المرأة تساقط دمعهافي أثناء الحديث (ودمع العين منها يبتدر). ويلاحظ أن تعبير (صفي النفس)، الذي نادت به عمر، قريب من ألفاظ المرأة وتعابيرها[٣]، والإشارات والحركات وأنواع التعبير الجسمي، كالتي تصدر عن الأنثى، تعد من قبيل الأنظمة السلوكية غير اللغوية، التي تزامن الأداء اللغوي، وقد تلجأ المرأة إلى هذه الإشارات والحركات، إذا كان الكلام محظوراً لسبب أو آخر[٤].

والفضيحة ومشتقات الجذر (فضح)، غير مقصورة على الحوار المباشر بين عمر وحبيبته، فهي تشيع في معرض أحاديث النسوة عنه أيضاً، وتأتي غالباً في سياق الرقبة والعذل واللمز لعمر، وأمثلة ذلك واضحة في قول عمر[٥]:

قلن عزِّ الفؤاد في أم بكر ... بعزاء قد افتضحت افتضاحا
قلت ما حبها عليَّ بعار ... إن محب يوماً من الدهر باحا

وعلى لسان الرسول يأتيه هذا التعبير[٦]:

وقد أرسلت في السر أن قد فضحتني ... وقد بحت باسمي في النسيب ولم تكنِ

وفضلاً عن تردد لفظة الفضيحة، في هذا الأسلوب الأنثوي، يلحظ العتب النسوي من الحبيبةعلى عمر، لأنه صرّح باسمها، ولم يلجأ إلى التكنية، ومثل هذا العتاب لا يصدر إلا عن أنثى، فليس من رجل ينكر ذكر اسمه صريحاً، وحوار عمر المباشر مع الحبيبة منبث في ثنايا قصائده، ولا تكاد تخلو منه قصيدة طويلة، وهذه قطعة من حوار يتضمن حديثاً غرامياً، واتفاقاً على موعد مقيّد بشروط ومواثيق يقول[٧]:

أنيلي قبل وشك البين إني ... أرى مكثي بأرضكم قليلا
فهزت برأسها عجباً، وقالت ... عذرتك، لو ترى مني غفولا
ولكن ليس يعرف ليّ خروج ... ولا تسطيع في سرٍ دخولا
هلمَّ فاعطني واسترض مني ... مواثيقاً على أن لا تحولا
وأن ترعى الأمانة ما نأينا ... وتعمل في تجاورنا الرسولا
فقلت لها وددت وليت أني ... وجدت إلى لقائكم سبيل

---

(١) ينظر أمل نصير: صورة المرأة في شعر عمر بن أبي ربيعة، ص ١٦٧-١٧٢.

(٢) سيتم إفراد مبحث خاص بحركات المرأة المصاحبة لحديثها.

(٣) الأبيات التي مر ذكرها والتي سترد مجتزأة من حوار داخل القصيدة.

(٤) ينظر عيسى برهومة: اللغة والجنس، م.س، ص ١٤١-١٤٢.

(٥) ديوان عمر: ٧٩/١.

(٦) م.ن: ٣٣٨/٢.

(٧) م.ن: ٢٦٤/١.

وتشيع تعابير (الولولة)، وألفاظها، والمفردات الدالة على العذاب والشقاء، والتهديد، في الحوار المباشر بين عمر والحبيبة، يقول[١]:

ثـم دعـت بالويـل ثـم دعـت ... حـين أدنـاني لهـا النظـر
ودعـت حـورء آنـسة ... حـرة مـن شـأنها الخفـر
ثـم قالـت للتـي معهـا ... ويـح نفـسي، قـد أتـى عمـر
مالـه قـد جـاء يطرقنـا ... ويـرى الأعـداء قـد حـضروا؟
لـشقائي يـا أخـتِ عُلقتـا ... ولحـين سـاقه القـدر

ثم يقول[٢]:

للتـي قالـت لجارتهـا ... ويـح قلبـي مـا دهـى عمـرا

ويُلاحظ في الأبيات تردد كلمات الويل، والويح، والشقاء والحين (الهلاك)، وتوحي هذه المفردات إلى جانب معانيها استعمال (لهفي) والتلهف، وهذه ألفاظ دلالتها ألصق بحال المرأة ،في أحوال الإنفعال والتأثر، يقول عمر[٣]:

قالـت لنـا ودمعهـا ... وجـداً علينـا يـذرف
لهفـي ولـيس نـافعي ... علـيكم التلهـف

وهذه العبارات والمفردات هي مما تنفرد المرأة باستعماله، وتكاد تكون من العبارات الخاصة بها، فلا يستخدمها الرجل، ومنذ القديم لحظ علماء اللغة استئثارلغة المرأة بتعابير خاصة بها، (فابن جني) علق في عرضه، على أسلوب الندبة بقوله: "إن أكثر من يتكلم بهذا الأسلوب النساء"[٤]. ويلاحظ الدارسون أن هذه الأساليب الخاصة بالمرأة، تضفي على حديثها حميمية وتضامنا[٥].

---

(٢) م.ن: ١٦٣/١.

(٢) ديوان عمر: ١٦٧/١.

(٣) ديوان عمر: ٢١٨/٢.

(٤) ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٠، ص١٢.

(٥) ينظر: عيسى برهومة: اللغة والجنس، م.س، ص ١٣٤.

اللغة في حوار الصويحبات والأتراب:

عمر فنان بارع، في تصوير أجواء لقاء صويحبات حبيبته، ودقيق في التقاط ما يجري بينهن من حوار، وما يتداولنه من أحاديث بشأنه، فضلاً عن عنايته بوصف أحوالهن وحركاتهن، وهن منهمكات في بحث أحداث الزيارات والمواعيد. وهذه الحوارات، التي يصوغها عمر، على ألسنتهن، بحذق وإتقان، تحمل سمات أحاديثهن، وخصوصياتها وألفاظها، وتصور مشاعرهن في مثل هذه المواقف، من اهتمام وخوف وحذر وترقب وتحوّط، فضلاً عن مشاعر الغيرة والحسد.

وهذه الأحاديث المروية نقلا عن النسوة كثيرة، ولافتة، فهناك قصائد ومقطوعات كاملة، كلها من كلام الحبيبة، وليس لعمر منها غير كلمة (تقول) مرة واحدة، وسائر القصيدة رواية على لسانها، ثم هناك مقطعة واحدة من نظم الحبيبة نفسها، رداً على رسالة عمر، وليس لعمر فيها حرف واحد(١). والمشهد الحواري، الذي تتضمنه هذه الأبيات، يصور أجواء من عوالم المرأة، ونظرتها ولغتها وأساليبها في التعبير، يقول(٢):

قالت: لجارتها: انظري ها من ألى	**وتأملي من راكب الأدماء**
قالت: أبو الخطاب أعرف زيّه	**ولباسه، لا شك غير خفاء**
قالت: وهل؟ قالت نعم، فاستبشري	**ممن يُحب لقيه بلقاء**
قالت: لقد جاءت إذاً أمنيتي	**في غير تكلفة وغير عناء**
ما كنت أرجو أن يلم بأرضنا	**إلا تمنيّه كبير رجاء**
فإذا المنى قد قربت بلقائه	**وأجاد في سر لنا وخلاء**
لما توافقنا وحييناهما	**ردت تحيتنا على استحياء**
قلن انزلوا وتيمموا لمطيكم	**غيباً تُغيبه إلى الإمساء**

فعبارات مستهل الحديث تشي بدهشة الحبيبة وشعورها بالمفاجأة، إذ رأت شخص عمر من بعيد مع صحبه، فطلبت من جارتها أن تنظر وتتأمل بصيغة الأمر متتالية الحركة، وعمدت إلى اجتزاء العبارات، فقالت: (من ألى) وتعني من الذين؟ وهي جملة ناقصة، تمامها (من الذين معه) واستعملت (ها) بحركة إيحائية، للتنبية، تعبيراً عن الشعور بالفرح الممزوج بالدهشة. ولتتيقن من دقة صواب حدسها، طلبت من الجارة أن تدقق في الشخص، الذي يمتطي الأدماء، فذكرت لون راحلته، حتى تشاركها الحبيبة في التعرف عليه، والتأكد من شخصه، وجاء جواب الجارة مصدقاً لفراستها في التعرف عليه، إذ قالت الجارة (أبو الخطاب) بالصيغة الموجزة بدلاً من (هذا أبو الخطاب)، وهذا الإيجاز مناسب لسياق الانبهار والدهشة، والمعروف لدى الدارسين: "أن النساء أكثر استخداماً للجمل المفتوحة غير المكتملة والمترددة وغير المحددة، فهن يقفزن من جملة إلى أخرى، دون وضع نهاية لجملهن"(٣)، ومن أمارات الحديث المشرب بالنكهة الأنثوية تأكيد الجارة أنها تعرف زيه ولباسه، وهذه التفاتة نسوية، تعبر عن عادة اهتمام المرأة بالأزياء وتفاصيلها. وتعدد الجمل المجتزأة واضح في المشهد الحواري، مثل و(هل) دون ذكر المستفهم عنه(٤)، والغريب أن يأتي الجواب عن هذا الاستفهام، غير الواضح بـ (نعم) وكأن هناك لغة (شيفرة) تصطنعها هؤلاء النسوة، لا يفهمها غيرهن .

---

(١) انظر ديوان عمر: ج١، ٩٦، والمقطوعة عتاب، ج١، ص ١٥٠.

(٢) ن.م: ج/١٥-١٦.

(٣) ينظر: عيسى برهومة: م.س، ص ١٢٩.

(٤) ينظر ياسين الأيوبي: عمر بن أبي ربيعة، ص ٢٨٠-٢٨٢.

ومن هذه المشاهد الحوارية، التي تكشف عن دقة تصوير الحوار في شعر عمر لأجواء اللقاءات النسوية، حديث محبوبته أسماء، تحاور أترابها[(١)]:

أيـــام أســـماء بـــه شـــادن — خَـــود تراعـــي رشـــأ أكحـــلا
قالــــت لتـــربين لهـــا عنــــدها — هـــل تعرفـــان الرجـــل المقـــبلا
قالــــت فتـــاة عنـــدها معـــصر — تـــدير حـــوراوين لـــم تخـــذلا
هـــذا أبـــو الخطـــاب، قالـــت نعـــم — قـــد جـــاء مـــن نهـــوى ومـــا أغفـــلا

فاستفهام الحبيبة من تربها (هل تعرفان الرجل المقبلا) يقصد به الإشعار الممزوج بالفرح بقدوم عمر، وإلا فهي أعرف بسيماه من التربين، وجاءت إجابة الفتاة مؤكدة مجيئه (هذا أبو الخطاب)، وهذه الكنية، التي يذكرها عمر، دون شعور بالحرج، تأتي من باب التأكيد على علو المكانة التي يتمتع بها عندهن، وتأكيد ذلك يأتي من قبل الحبيبة، التي عقبت بـ (نعم)، وأعلنت عن حبها له، ووفائه وحرصه على الإيفاء بالوعد.

وتسترعي النظر ظاهرة اضطلاع صديقات الحبيبة بدور مهم، في ترتيب اللقاءات، وتحديد المواعيد وتسهيل مهمة التلاقي بين الحبيبين، مع اصطناع الحيلة والتستر، في حين تكاد تقتصر مهمة صديق الحبيب على النصيحة والإرشاد. فحبيبة عمر تكلف صديقتها، أو تربها، مهمة سؤال عمر عن نيته البقاء أو المغادرة، وتوصيها الحذر من عيون الرقباء، وأن تتظاهر إذا ما رأوها بأنها تحمل كتاباً أشكل عليها أمر محتواه، كما أوصتها بأن تعاتبه على كذبه وإخلافه الموعد. يقول عمر[(٢)]:

وتـــذكرت قـــول (نعـــم) وكـــان الـــذكر — منهـــا ممـــا يهـــيج فـــؤادي
يـــوم قالـــت لتربهـــا ســـائليه — أيـــود الـــرواح أم هـــو غـــادي
واحـــذري أن تـــراك عـــين وإن لاقيـــ — ـــت بعـــض المكثـــرين الأعـــادي
فـــاجعلي علـــة كتابـــا لـــك استحـــ — مِـــلَ فـــي ظـــاهر مـــن الـــسر بـــادي
ثـــم قـــولي: كفـــرت يـــا أكـــذب النـــا — س جميعـــاً مـــن حاضـــرين وبـــادي

وإذا كانت مشاهد الحوار النسوي، في القصيدة العمرية، تكشف عن دواخل النساء فتتبدى فيها مشاعرهن وأحاسيسهن مكشوفة، فإن في مقدمة ما يبدو من ذلك الغيرة والحسد، فحين سألت هند جارتها عن وصف عمر لها بالجمال، هل هي حقاً كما وصفها عمر أم يبالغ، كانت إجابتهن مراوغة، إذ لم يقلن لها إن كان صادقاً أو مبالغاً، وإنما قلن لها: (حسن في كل عين من تود)، وعلق عمر على إجابتهن بأنها حسد، قال[(٣)]:

ولقـــد قالـــت لجـــارات لهـــا — وتعـــرّت ذات يـــوم تبتـــرد:
أكمـــا ينعتنـــي تبـــصرنني — عمـــركن الله أم لا يقتـــصد
فتـــضاحكن وقـــد قلـــن لهـــا — حـــسن فـــي كـــل عـــين مـــن تـــود
حـــسداً حملنـــه مـــن أجلهـــا — وقـــديماً كـــان فـــي النـــاس الحـــسد

وفي مشهد حواري آخر اتفقن مع (خالد)، على تدبير مكيدة لعمر، ويوافق عمر على أن يأتيهن، بعد تردد، متنكراً بهيئة أعرابي، ليسمع حديثهن ويأنس بلقائهن، فأتاهن متظاهراً بإنكار شخصه، وتصنعن تجاهله، وطلبن أن ينشدهن فأنشدهن لمجموعة شعراء، فتظاهرن بمزيد من التجاهل لشخصه وقلن: "ما أشبه هذا الأعرابي بعمر" وسألنه مزيداً من الإنشاد للشعر، وينخدع عمر بأن حيلته قد انطلت عليهن، ثم

---

(١) ديوان عمر بن أبي ربيعة: ص ٢٧٤/٢.

(٢) ديوان عمر: ٨٤/١.

(٣) م.ن: ٨٩/١-٩٠.

اكتشف أخيرا أنه مخدوع لا خادع[١]، وهكذا تنتهي بعض المشاهد الحوارية بمفاجآت تعكس مهارة النسوة في وضع الخطط والشراك والأحابيل[٢] للإيقاع بالرجال، وقد تتخذ مجالس النسوة في الشعر العمري، للغيبة، وتصور هذه الأبيات اغتياب الفتيات لعمر[٣]:

قالـــت لآنســـة رداح عنـــدها ... كـالرئم فـي عقـد الكثيـب الأيهـم
هـذا الــذي مــنح الحسان فـؤاده ... وشـركنه فـي مخـه والأعظـم
قالــت: نعــم فتنكبـي بـيّ إنـه ... ذرب اللسان إخالـه لـم يُسلم

وبذلك فقد كثرت الحوارات وتنوعت في الشعر العمري، وأشرك الصويحبات في القول، مما أعان عمر على ترابط أبيات القصيدة معاً، فضلاً عن التوسع في الموضوع الواحد يسر له إبراز الوحدة الموضوعية والعضوية في قصائده، التي لم تكن مألوفة. ويعود الفضل في ذلك[٤] إلى الحوار والأساليب القصصية الواردة في مضمون القصيدة ،أدى إلى الاتصال الوثيق بين الأبيات جاء نتيجة للترابط المعنوي بين أبيات القصيدة الواحدة[٥].

حركات النساء وإشاراتهن وأحوالهن في أثناء الحوار:

حوار المرأة، في الشعر العمري، ينبض بفيض من الحيوية والحركة والنشاط، ويظهر كأنه قطعة من واقع الحياة. ومصدر ذلك واقعيته وصدقه وعفويته. وإحدى سمات هذه الواقعية والحيوية ما يخالط هذا الحوار المنطوق من حوار غير منطوق، يعتمد الإشارة والإيماءة والحركة، وسيلة للتواصل والتراسل، والتعبير عن أدق خوالج النفس، وما يخامر روح المرأة، مما لا تستطيع في أن توصله بالكلام والحوار المنطوق.

لقد حرص عمر على تصوير حركات النساء ووصف أحوالهن المصاحبة لأحاديثهن، وكان من جملة أهم هذه الحركات والأحوال تبادل النعوت والأوصاف، أي قيام المرأة بوصف محدثتها، وإطراء مظاهر الجمال فيها، ومبادرة الثانية بالرد عليها في أثناء الحديث، يقول عمر[٦]:

تنـوعتن حتـى عـاود القلـب سـقمه ... وحتـى تـذكرت الحـديث المودعـا

وهذه الحميمية والألفة بين النساء ظاهرة مألوفة، فـ"المرأة تقترب من المنطقة الشخصية لجليستها، وهي أكثر ملاءمة لها، ولعل ذلك يوحي إلى التوحد والمودة فثمة صلة بين الاقتراب واللمس"[٧].

ويلحظ في هذه الأحاديث الإمعان في ذكر تفاصيل تباين آرائهن في عمر بشأنٍ ما، حتى لكأنهن يتشاجرن، كقوله[١]:

---

(١) انظر القصيدة المعنية في (ص ٢/١٩٧-١٩٨) والقصة في الأغاني لأبـي فـرج الأصـفهاني، دار الكتـب، ص ١٧٥/١.

(٢) عبد الفتاح نافع: الحوار في غزل عمر، م.س، ص ٥٣.

(٣) ديوان عمر: ٣١٦/٢.

(٤) ينظر شادان جميل عباس: عمر بن أبي ربيعة في الخطاب النقدي العربي الحديث، دار دجلة، ط١، عمان، ٢٠٠٧، ص ١٨٦. وينظر الحوار عند شعراء الغزل في العصر الأموي: بدران عبد الحسين، ص ١٨٨.

(٥) م.ن، ص ١٦٦.(مثالا)على ذلك

(٦) ديوان عمر: ١٩٧/٢.

(٧) عيسى برهومة: اللغة والجنس، م.س، ص ١٤٤.

فلمــا تنــازعن الأحاديـــث قلـــن لـــي　　　أخِفـــتَ علينــا أن نغـــر ونخـــدعا؟
فبــالأمس أرســلنا بـــذلك خالـــداً　　　إليـــك وبينـــا لـــه الـــشأن أجمعـــا

ومن مألوف هذه الحركات والأحوال البكاء، وقد عبر عنه عمر بصيغ كثيرة مختلفة، كقوله[٢]:

حركتنـــي ثـــم قالـــت جزعـــاً　　　ودمـــوع العـــين منهـــا تبتـــدر

ويلحظ هنا أن عمر ذكر حالتي التحريك والبكاء، ثم صور حالة جزعها في أثناء مخاطبتها له. ومن التعبير عن بكاء الحبيبة قوله[٣]:

جعلـــتْ تحـــدر مـــاء مقلتهـــا　　　وتقـــول مـــالي عنـــك مـــن صـــبر

ومن حركات المرأة المصاحبة لحديثها (لي الرَقبة) الذي يؤدي إلى الالتفات بالرأس، كقول عمر[٤]:

ولـــوت رأســـها ضـــراراً، وقالـــت　　　إذ رأتنـــي اختـــرت ذلـــك أنتـــا

ويبدو هنا أن عمر وصف (لي الرأس) بأنه كان علامة مخالفة (ضراراً) .ومن حركات الرأس، في أثناء الحديث، ما يوحي بالتعجب، كقوله[٥]:

فهـــزت رأســـها عجبـــاً　　　وقالـــت مـــازح مزحـــاً

وهز المرأة لرأسها، للتعبير عن موقف، أو الاستجابة له، أمر لحظه الدارسون[٦].

ومن جميل الحركات، التي التقطها عمر، الإيماء بالعين والطرف،وفي هذه الإشارة إغراء وتعبير عن وجد، يقول[٧]:

أومـــت برأســـها مـــن الهـــودج　　　لـــولاك فـــي ذا العـــام لـــم أحجـــج

ويصور عمر مشهداً،من مشاهد رؤيته للحبيبة، واصفاً نظراتها إليه قائلا[٨]:

نظـــرت إليـــك وذو شـــبام دونهـــا　　　نظـــراً يكـــاد بـــسرها يـــتكلم
فأبـــان رجـــع الطـــرف أن لا تـــرحلن　　　حتـــى يجـــنَ النـــاس ليـــل مظلـــم

فإشارة العين، هو نسق من الدلالات التعبيرية عن معانٍ لا تختلف في أنساقها عن مادة الكلام، فالكلام تعبير صوتي، والعين تعبير حركي دال على معناه، وفيه رسالة غير منطوقة، يفهمها الحبيب، مع تضمينها فعلاً حركياً، يدل على جواب بتبادل النظرات،يقول عمر[١]:

---

(١) ديوان عمر: ١٩٨/٢.
(٢) م. ن: ١٤٦/١.
(٣) م. ن: ١٨٠/١.
(٤) م. ن: ٦٦/١.
(٥) م. ن: ٧٦/١.
(٦) ينظر عيسى برهومة: اللغة والجنس، ص ١٤٤.
(٧) م. ن: ٧٢/١.
(٨) م. ن: ٣١٥/٢.

أشــارت بطــرف العــين خــشية أهلهــا   إشـــــارة محـــــزون ولـــــم تـــــتكلم
فأيقنـــت أن الطـــرف قـــد قـــال مرحبـــاً   وأهـــــلاً وســـــهلاً بالحبيـــــب المتـــــيم

ويجيبها هو أيضاً بحركة من طرفه، وهو ما لم نتوقعه من قول أو حركة لرجل، فيقول:

فـــأبردت طرفـــي نحوهـــا بتحيـــة   وقلـــت لهـــا قـــول امـــرئ غيـــر مفحـــمِ

إن الحركات الإيمائية من لغة المرأة، هي لغة حولها عمر من حركة إلى لغة بوعي من رغبة ذاتية لتفسيرها، فهو يبنيتفسيره هذا عن استحضار لغة مشتركة بينهما، تكتسب دلالة إشارية من مجموعة الأنساق الدلالية المصاحبة، وتلحق لغة العيون في العادة معززات قولية منها ما يفسر الحركة كقوله[٢]:

إذا جئـــت فـــامنح طـــرف عينـــك غيرنـــا   لكـــي يحـــسبوا أن الهـــوى حيـــث تنظـــر

وفي هذا دلالة واضحة على لغة الحركة، التي تعبر صراحة عن أمره بأن يتوجه إلى جهة تخالف مقصده،وباطنهاإشارة لحقيقة المقصد، تعززها الحبيبة بدلالة لفظية لتفسير غرضها بدهاء. ورسائل الطرف عادة تتشح بالتمويه، لتضليل المراقب، ينبعث من قلق الحبيبة وخوفها من افتضاح أمرهما.

والغمزمن لغة المرأة الحركية، تعبر به عن دلالات عميقة، تقود إلى حوار معبر عنه برسالة حركية، واالغمز عادة ضرب من لغة اللاهيات والعابثات يقول[٣]:

قالـــت لتـــرب لهـــا ملاطفـــة   لتفـــسدن الطـــواف فـــي عمـــر
قـــومي تـــصدي لـــه ليبـــصرنا   ثـــم اغمزيـــه يـــا أخـــت فـــي خفـــر
قالـــت لهـــا قـــد غمزتـــه فـــأبى   ثـــم اســـبطرت تـــسعى علـــى أثـــري

ومن دقيق التعبير عن الخوف، ما وصف به عمر خوف الحبيبة، التي جاءت تتهادى إليه، يعتريها الخوف من الرقباء بحركة لا إرادية، يقول[٤]:

فجـــاءت تهـــادى علـــى رقبـــة   مـــن الخـــوف أحـــشاؤها ترعـــد
وكفـــت ســـوابق مـــن عبـــرة   علـــى الخـــد جـــال بهـــا الإثمـــدِ

ولا شك أن للمرأة قدرة على توظيف لغة العيون، فلديها مهارة في بث رسائلها من خلالها[٥].

أما التعبير عن الارتباك جراء مفاجأة الزيارة، فيتم بلطم الخدود الذي يصوره عمر بقوله[٦]:

فلطمـــت علـــى وجههـــا واســـتنبهت معهـــا   بيـــضاء آنـــسة مـــن شـــأنها الخفـــر
مـــا بالـــه حـــين يـــأتي أختِ منزلنـــا   وقـــد رأى مـــن كثـــرة الأعـــداء إذ حـــضروا

والصدود بالوجه يشي بالتمنع والإعراض عمداً، وهذا ما نلحظه في هذه الصورة الخاطفة التي رسمها عمر[٧]:

---

(١) م. ن: ٢/٢٩٥.

(٢) ديوان عمر: ١/١١٠.

(٣) ديوان عمر: ١/١٦١.

(٤) م.ن: ١/٨٢.

(٥) عيسى برهومة: م.س، ص ١٤٤.

(٦) ديوان عمر: ١/١٢٩.

(٧) م. ن: ١/٥٢.

ثــم صـــدت بوجههـــا عمـــد عـــين زينـــــب للفـــــضاء أم الحبـــــاب

أمـا الإشـارة، فهـي كثيـرة تتـردد فـي قـصائده، فـي أثنـاء وصـف النـسوة بالانهمـاك بالحـديث أو الإحساس بالخطر،في مثل قوله(١):

أشـــارت بـــأن الحـــي قـــد حـــان مـــنهم هبـــوب ولكـــن موعـــد لـــك عـــزور

والعض على الإصبع من الحركات التي رصدها عمر، وبخاصة في حالات الندم، وإظهار الشفقة والخوف من حصول ما لا تحمد عقباه ،على ما جاء في هذا المشهد(٢):

فعـــضت علـــى الإبهـــام منهـــا مخافـــة علـــيَّ وقالـــت قـــد عجلـــت دخـــولاً
فهـــلاإذا اســـتيقنت أنـــك داخـــل دســـست إلينـــا فـــي الخـــلاء رســـولاً

وتعض صاحبة عمر على إبهامها، تعبيراً عن الإحراج، وهي تحاول تدبير مغادرته، بعد زيارته لها، يقول(٣):

وعـــضت علـــى إبهامهـــا وتنكبـــت قريبـــاً وقالـــت: إن شـــرك ملحـــق

والحركات والأحوال التي ترافق أحاديث المرأة كثيرة، في شعر عمر، واستقصاؤها يمكن أن يوفر مادة لبحث مستقل.

لغة الرسائل:

حفظت لنا الرسائل المتبادلة بين عمر وحبيباته، صوراً للغة المرأة وأساليبها التعبيرية، والصيغ التي تعبر بها عن مشاعرها، وتصريف أمور اللقاء بينها وبين عمر، فضلاً عمّا حفظته من صور حياتها، وملابسها وأدوات زينتها، وعطرها، ووسائل اختيار صاحباتها ورسولها.

ورسائل عمر كثيرة جداً، كثرة لا يمكن بحال أن نجد لها مثيلاً عند شاعر عربي، على مر العصور، ورسائله متعددة الأنواع، فمنها (رسالة المبادرة)، التي يبادر عمر بإرسالها إلى الحبيبة، في شأن من شؤون الحب كالعتاب واللوم وطلب الزيارة واللقاء والإعراب عن الشوق، ومنها أيضاً (رسالة المبادرة) التي تبادر بإرسالها الحبيبة نفسها، ومنها (الرسالة الجوابية) التي يرد بها عمر على رسالة الحبيبة، أو التي ترد بها الحبيبة على رسالته، ومنها (الرسالة التوكيدية) التي يبعثها حين لا يتلقى جواباً عن رسالته من الحبيبة، ومنها (الرسالة البرقية) السريعة الموجزة في أمرٍ طارئ، فتفهم الحبيبة فحواها، ومنها (الرسالة الشفوية) و(الشفوية المموّهة)(٤).

---

(١) م. ن: ١٠٨/١. عزور جبل بين مكة والمدينة.

(٢) م. ن: ٢٦٥/١

(٣) م. ن: ٢٣٤/١.

(٤) في تفاصيل أنواع الرسائل: ينظر بحث د. عزمي الصالحي، و د. محمد ربيع: القصيدة الرسالة في شعر عمر بن أبي ربيعة، مجلة كلية الآداب جامعة طنطا ، سنة٢٠١٠، عدد٢٢. و(الرسالة المموهة) هي الموضوعة على لسان منادٍ يكلف السؤال عن بغلة ضالة لتفهم الحبيبة بأن عمر سيأتي من دون أن يعرف المنادي أنه يؤدي مهمة إبـــلاغ الرسالة، وشعر عمر بصور مثل هذه المهمات الغرامية.

لقد تحولت القصيدة العربية، على يد عمر بن أبي ربيعة، إلى رسالة تبتدئ بالبسملة أحياناً، وذكر اسم المرسل، واسم المرسل إليه، وتصف الرسول وبراعته في إيصال الرسالة، كما تتضمن ذكر الغرض من الرسالة، والختام إيضا، على نحو ما كان يتبع في نص الرسائل الاعتيادية في عصر عمر(١).

وإذ تتحول القصيدة إلى رسالة شعرية، مكتوبة بأسلوب الرسائل ملتزمة بتقنيات كتابتها، تكون قد اكتسبت بنية جديدة، وحققت وحدة موضوع، وأطرحت المقدمة الغزلية، ما يسوّغ الحكم باعتبار عمر رائد التجديد في بنية القصيدة العربية(٢). وهكذا أتاح التراسل للغة جديدة، أن تنشأ مناسبة للغرض الجديد. وفن الرسالة الغزلية هذا استلزم أسلوباً يلائمها، كما اقتضى ركون المرأة إلى اختيار مفردات،تعبر بها عن أغراضها من نحو، وتتلاءم مع طبيعتها وشخصيتها، من نحوٍ آخر.

وأول هذه الأساليب (الإيجاز)، خاصة إذا كانت الرسائل شفوية، فإن ذلك يقتضي أن يحفظها الرسول نصاً، ومن ثم فلا بد من أن تكون موجزة سهلة الحفظ،وفي القصيدة البرقية المرسلة من الحبيبة، تظهر خصيصة الإيجاز بشكل جلي، لا نجد مثيلاً له في رسائل الرجال وأحاديثهم، كما يظهر في رسائل حبيبة عمر إليه(٣):

وأرســــــلت فجـــــاءني بناتهـــــا المطـــــرق
أن بــــت لــــدينا ليلـــة نحيــــا بهـــا ونلطـــف

وكما يظهر في رسالة هند إلى عمر(٤):

أرســـلتْ ســـراً إلينـــا وثنـــت رجعـــاً خفيـــضاً
أن تلبـــث إلـــى أن نلـــبس الليـــل العريـــضا

ويظهر إلى جانب الإيجاز الواضح، في نص الحديث المرسل، أن الوزن الذي كتبت به الرسالتان وزن قصير راقص، إلى جانب ما يظهر في النصين من الكتمان وخفض الصوت والسرية، وهذه جميعاً أجواء تقتضيها طبيعة حياة الأنثى.

وكل أنواع الرسائل تتم مبادلتها في أجواء من السرية والكتمان والتمويه، خشية الوشاة والرقباء،وهذا كله يقتضي التستر والإيجاز في القول، والكناية مع تحاشي الرقباء،من هذا كثرت في حديث النساء التوصية بالكتمان والتريث والتزام السرية وتجنب الرقباء، فهذه ليلى تطلب من عمر ألا يأتيها، على الرغم من شوقها إليه، ليتجنب الرقباء التي ترصد هي تحركهم(٥):

والحبيبة تطلب من عمر أن يبعث إليها برسول يستطلع الطريق، وتوصيه بالانتظار إلى أن يغيب القمر(٦):

هـــلا دســـست رســـولاً منـــك يعلمنـــي ولـــم تعجـــل إلـــى أن يـــسقط القمـــر

ولفظة (دسست)، التي استعملتها الحبيبة، دقيقة جداً في معناها، ومعبرة عن التكتم والمبالغة في التخفي، الذي تنشده المرأة، وهذا استعمال يحمل السمة الأنثوية.

---

(١) للتفاصيل والأمثلة ينظر المصدر السابق.

(٢) م. ن: ٢١٧/٢.

(٣) م. ن: ٢١٧/٢.

(٤) م. ن: ١/ ١٨٧

(٥) م. ن: ١٨٧/١.

(٦) م. ن: ١٢٩/١.

ورسائل الحبيبات مفعمة بالعتاب ومفرداته بشكلٍ ظاهر، على نحو ما جاء في رسالة الرباب إلى عمر[(١)]:

كتبــــت تعتــــب الربــــاب وقالــــت قــــد أتانــــا مــــا قلــــت فــــي الإنــــشاد

فغرض الرسالة كان العتاب، وفيها إشارة إلى القصيدة المغناة، التي بعث عمر بمغنية أنشدت الرسالة لتتغنى بها أمام الرباب. فهي رسالة مضمنة بالقصيدة الأغنية، تشي بذلك عبارة (أتانا ما قلت في الإنشاد) إشارة إلى أنها فهمت مضمونها، ورسالة الرباب جواب عن القصيدة الأغنية التي منها[(٢)]:

ولقــــد قلــــت يــــوم مكــــة لمــــا أرســــلت تقــــرأ الــــسلام علينــــا
أنعــــم الله بالرســــول الــــذي أرســــل والمرســــل الرســــالة عينــــا

والقصيدة الأغنية، كما يظهر من الأبيات، جواب عن رسالة سابقة من الرباب، يبدو ذلك من (دعائه) بأن ينعم الله على الرسول ومرسل الرسالة، وهذا يشير إلى التوصل المستمر عبر التراسل.

والرسائل الشعرية المتبادلة هذه طافحة بمفردات التراسل مثل (رجع الجواب) في قوله[(٣)]:

حــــي الربــــاب وتربهــــا أســــماء قبــــل ذهابهــــا
إرجــــع إليهــــا بالــــذي قالــــت برجــــع جوابهــــا

أما لفظة (أرسل) والمشتقات من جذرها (رسل) فكثيرة جداً في لغة التراسل كقوله[(٤)]:

فأرســــلت نعــــم إلينــــا أن إئتنــــا فأحبــــب بهــــا مــــن مرســــل متغــــضب
فأرســــلت أن لا أســــتطيع فأرســــلت تؤكــــد أيمــــان الحبيــــب المؤنــــب

والإشارة إلى القسم ظاهرة في (الأيمان)، وتوكيد نعم عليها.

ومن المفردات التي تقتضي وجودها عملية التراسل، الكتابة والمشتقات ذات الصلة بها، وبخاصة الفعل (كتب)، ويبرز بين هذه المفردات (الكتاب) وهو (الرسالة)ومرادفاتها مثل (الخط) وهو (الرسالة) و (الصحيفة) أي الرسالة، والعنوان، والمفردات الأخرى المتداولة في كتابة الرسائل كالإمضاء الذي يكون بالبنان وبالكف، وختم الرسالة بالدموع والمداد الذي تكتب به، ويكون من الطيوب، كالعنبر والمسك والزعفران والكافور، وذكر الغلاف المصنوع من الأقمشة الثمينة، والمزين بعقود من الياقوت الصافي، أو بسبيكة من الذهب منقوش عليها عبارات ودٍّ وتفدية، كل أولئك، وما يضاف إليه من وصف يتناثر فيه القسم والاستحلاف والدعاء والتفدية والنذر، وما يشوبه من رقة ولين في الخطاب، مستمدين من لغة الحياة اليومية للمرأة، يسهم في تشكيل لغة وأساليب نسوية لا نجدها تشيع في أساليب شعر الرجال.

لقد أسهمت الرسائل لا في تشكيل خصائص أسلوبية للغة الخطاب النسوي فحسب، بل في كشف أجواء الحياة النسوية، ودواخل المجتمع النسوي الخاصة، فضلاً عن الكشف عن طبيعة عواطف المرأة والإبانة عن مشاعرها.

وتعد الرسائل من مظاهر التجديد في شعر عمر، فقد صاغها، ووضع لها جواباً على لسان الحبيبة، يعبر عن واقع العلاقة التي تربطه بها،كما أكسبت الرسائل شعرعمر حياة لم يعرفها الشعر

---

(١) م. ن: ٨٤/١.

(٢) م. ن: ٣٦٢/٢.

(٣) م. ن: ٤٢/١.

(٤) م. ن: ٥٥/١.

العربي، بعد أن كانت الرسائل حمائم الأيك، والرياح والنسيم، والأمواج، وغيرها من عوامل الطبيعة المتحركة[١].

القسم والاستحلاف، والتفدية، والعتاب:

تميل النساء، في محاورتهن، إلى توكيد آرائهن وأحكامهن، بأساليب شتى. وفي مقدمة هذه الأساليب (القسم)، الذي ترى فيه النساء وسيلة قوية لا تدحض لدعم ما يتحدثن به. وظاهرة القسم تشيع بكثرة مُتجليّة في محاورات نساء عمر، وغالباً ما يتم هذا القسم بلفظ الجلالة، أو بإحدى صفاته، من ذلك[٢]:

وقالت لأختيها: اذهبا في حفيظة — فزوروا أبا الخطاب سراً وسلما
وقولا له والله ما الماء للصدى — بأشهى إلينا من لقائك فاعلما

ومن قسم النساء بلفظ الجلالة الذي ورد في حوارتهن[٣]:

قلن بالله للفتى عج قليلا — ليس إن عجت للعتاب كثيراً

ومثله قسم الحبيبة بالله وهو يشي بالاستحلاف[٤]:

قالت ودمع العين يجري واكفاً — كالدر يسبل تارة ويغور
بالله زرنا إن أردت وصالنا — واحذر أناساً كلهم مأمور

وقسمها عليه بالله أن يزورها مشفوع بحركة البكاء وجريان دموعها للاستعطاف، ومن القسم الذي يجري على لسان الحبيبة، بإحدى صفات الخالق تعالى[٥]:

قالت فلا تبرحن ذا الستر، إنني — أخاف، ورب الناس منه وأفرقُ

ومن القسم بإحدى صفات الله الخالق[٦]:

تلك التي قالت لجارات لها — حور العيون كواعب أتراب
هذا المغيري الذي كنا به — نهذي، ورب البيت، يا أترابي ج

ويرد القسم على ألسنتهن من دون ذكر المقسم به، مثل[٧]:

ثم قالت لا تُعلمن سري — يا ابن عمي، أقسمت، قلت أجل لا

وتقسم المرأة، في هذه الحوارات، بعمرها، أي بحياتها تقول في محاورة عتابية طويلة مع عمر[١]:

---

(١) ينظر إميل ناصيف: عمر بن أبي ربيعة، ص ٤٠-٤١.
(٢) ديوان عمر: ٢/٣٠٥.
(٣) م.ن: ١/١٥١.
(٤) م.ن: ١/١٤٠.
(٥)م.ن: ٢/ ٢٣٠.
(٦) م.ن: ١/ ٥٩.
(٧) م.ن: ٢/٢٧٠.

ولعمـــري مـــاذا بـــأول مـــا عاهـــد   تنـــي يـــا ابـــن عـــمٍّ ثـــم غـــدرتا؟

ومن غريب القسم، الذي لا يمكن أن نقع على مثله إلا في أساليب النسوة، القسم بالعيش، ومن أمثلة ذلك ما نجده في قول صاحبة عمر(٢):

قالــت وعــيش أبــي وحرمــة أخــوتي   لأنـــبهن الحـــي إن لـــم تخـــرج

فنجد في قول الحبيبة المزُورة فجأة، تهديداً للزائر مؤكداً بالقسم بعيش أبيها، ثم بحرمة إخوتها، وهذه الأساليب في القسم مما لا يؤلف عادة في شعر الرجال.

ويمثل القسم بالعيش الأكثر ترددا بين ما بين ما تقسم به نساء عمرمن موضوعات، على نحو ما جاء في مشهد عتاب طويل بينه وبين إحدى صواحبه(٣): وهذه

فحـــــرام عليـــــك أن لا تنـــــال   الـــدهر منـــي غيـــر الـــذي كنـــت نلتـــا
قلـــت مهـــلاً عفـــواً جمـــيلاً   لا وعيـــشي ولـــو رأيتـــك مِتـــا

وهذه (هند) صاحبة عمر تطلب من (سلمى) أن تبلغه رسالة وتقسم له بعيشها على ما تقول(٤):

إرجعـــي نحـــوه فقـــولي: وعيـــشي   لا تهنـــأ، بمـــا فعلـــت ربيعـــاً

ويشيع، إلى جانب القسم، الاستحلاف، ومن الغريب أن نجد الاستحلاف بالعيش يظهرأيضا مثل القسم بالعيش في أحاديث المرأة في الشعر العمري.

ومنه قول عمر(٥):

بعيـــشك هـــل أتـــاك لهـــا رســـول   يـــسرك أم لقيـــت لهـــا خـــدينا

ومثله في قوله(٦):

حتـــى إذا الليـــل ولـــى قالـــت زمـــراً   قومـــا بعيـــشكما قـــد نـــوّر الـــسحر

ومن نمط هذا الاستحلاف، استحلاف الحبيبة (بالعَمْر) أي بالحياة، فهذه إحدى صواحب عمر تستحلف تربيها فيقول(٧):

فقالـــــت لتربيهـــــا بعمركمـــــا   هـــل تطمعـــان بـــأن نـــرى عمـــراً

وتستحلف صاحبة عمر رسوله أن يقول له(٨):

---

(١) م.ن: ٦٧/١.

(٢) م.ن: ٧٥/١.

(٣) م.ن: ٦٧/١.

(٤) م.ن: ٢٠٥/٢.

(٥) ديوان عمر بن أبي ربيعة، تحقيق محي الدين عبد الحميد، ط٣، الخانجي، القاهرة، ١٩٦٥، قصيدة ٣٥٤، وفي الطبعة المعتمدة في البحث (بربك بدلاً من وعيشك)، ٣٦١/٢.

(٦) م.ن: ١٢٩/١.

(٧) م.ن: ١٥٨/١.

(٨) م.ن: ١٨٩/١. يمعض:يمتعض ويغضب

قالـــت لـــه: بـــالله ربـــك قـــل لـــه قـــولاً يحركـــه عـــسى أن يمعـــضا

وإذا كان معنى الاستحلاف في الأمثلة التي مرت يستفاد من حرف (الباء)، فإن التصريح بالاستحلاف يتردد في أحاديث النسوة، في الشعر العمري، فهذه حبيبته تستحلفه بالفعل المجرد[١]:

عمـــــرك الله أمـــــا ترحمنـــــي أم أن قلبـــك أقـــسى مـــن حجـــر

ونسوة عمر مولعات بالاستحلاف، وهن يكررنه توكيداً، فهذه إحداهن تقول، كما يذكر عمر[٢]:

ومقالهـــا ودموعهـــا سُـــجم أقلـــل حنينـــك حـــين تنـــصرف
حلفـــوا وقـــد قطعـــوا ببيـــنهم وحلفـــت ألفـــاً مثلمـــا حلفـــوا

ويلاحظ أن الفعل (حلف) تكرر في البيت ثلاث مرات، ونلاحظ أيضاً المبالغة في الحلف في (حلفت ألفاً).

ويرد في حوارات النساء، الحلف مقروناً بإشهاد الله، وهذا ما نجده في عتاب أسماء لعمر[٣]:

ولعمـــداً ردنـــي، فاجتهـــدت بيمـــين حلفـــة عنـــد الغـــضب
أشـــهد الـــرحمن لا يجمعنـــا ســـقف بيـــت رجبـــاً حتـــى رجـــب

وتشيع، على نحوٍ ظاهر، عبارات (التفدية) في حوارات النسوة، في ما بينهن حين يتداولن شأن عمر، وزياراته المفاجئة ولقاءاته مع الحبيبة، وفي ما بينهن وبين عمر أيضاً، وتتنوع أساليب التفدية بين استعمال (باء) التفدية وحدها، دون فعل أو مصدر، وبين استعمال فعل أو مصدر. ويقصد بالتفدية التودد إلى المفدّى، والتقرب إليه، وإشعاره بمكانته في القلب والروح، صدقاً أو تملقاً وترضية.

ومن الاكتفاء بالباء، إفادةً للتفدية قول عمر يحكي قول الحبيبة تفديه[٤]:

بنفـــسي مـــن شـــفني حبـــه ومـــن حبـــه بـــاطن ظـــاهر

فقد اكتفي (بالباء) وأضمر فعل التفدية في حين تكرر الفعل كثيراً في قصيدة أخرى[٥]:

لا تعجـــــلاه أن يـــــسائلنا إن كـــان شـــفّ فـــؤاده ثقلـــه
ففـــديت حاملـــه وحاضـــره وفـــديت مـــا يـــسمو بـــه جملـــه
وفـــديت مـــن كانـــت مـــساكنه بالـــسهل أو مـــستوعر جبلـــه

ويلاحظ تكرار فعل التفدية ثلاث مرات، وفي القصيدة نفسها ورد هذا الفعل أيضاً، على لسان الحبيبة، وهي تتحدث عن عمر[٦]:

ففـــديت مـــن أشـــفى برؤيتـــه وأبـــي وكـــان كثيـــرة عللـــه

وبالصيغة نفسها تفدي حبيبة عمر أترابها، تحذرهن هكذا[١]:

---

(١) م.ن: ١٤٥/١.

(٢) م.ن: ٢٢٣/٢.

(٣) م.ن: ٢٢٨/٢.

(٤) م.ن: ١٢٩/١.

(٥) م.ن: ٢٨٣/٢.

(٦) م.ن: ٢٨٢/٢.

هـــذا المقـــام فـــديتكن مـــشهر　　　فاحـــذرن قـــول الكاشـــح المرتـــابِ

وتفدي الحبيبة عمر بنفسها، بالقول[٢]:

يـا ابـن عمـي فـديتك نفـسي إنـي　　　أتقـــي كاشـــحاً إذا قـــال جـــارا

وقد تردد في حوارات النسوة، في شعر عمر، وعلى لسان حبيبته ،التفدية باستعمال المصدر، من مثل قول الحبيبة[٣]:

فالتقينـــا فرحبـــت ثـــم قالـــت　　　عمـــرك الله إننـــا فـــي المقيـــل
فـــي خـــلاء كيمـــا يرينـــك عنـــدي　　　فيـــصدقنني فـــداك قبيلـــي

ومن التفدية أيضاً التي تكررت في مقطعية، قوله[٤]:

إذا مـــا غبـــت كـــاد إليـــك قلبـــي　　　فـــدتك الـــنفس مـــن فـــرح يطيـــرُ
فـــديتك أطلقـــي حبلـــي وجـــودي　　　فـــإن الله ذو عفـــو غفـــور

ومن الحلف، في حوار عمر مع حبيبته، على سبيل المثال، قوله[٥]:

حلفـــت لهـــا بـــرب مِنـــى إذا مـــا　　　تغيـــب فـــي عجـــاجتهم ثبيـــر
لأنهـــم حِـــبٌّ شـــيء إن جلـــسنا　　　وإن زرنـــا فأوجـــه مـــن نـــزور

ومن ملاحظة السياق، الذي وردت فيه التفدية، نجد الرقة واللين والعذوبة، التي تشي بالتودد، ومحاولة استمالة قلوب المخاطبين، ولا يمكن بحال إغفال أن هذا الأسلوب أنثوي، ولا يمكن أن يرد على هذا النحو في أحاديث الرجال.

ويلاحظ أن هذه اللهجة النسائية، تشكل ركناً كبيراً من أركان الشعر العمري، وقد انعكست في شعره كله، متأثراً بأحاديث النساء فكثرت فيه أساليب كلامهن.

الدعـاء:

وقريب من الأساليب السابقة الدعاء، وهو ما يشيع عادة، في أحاديث النساء، أكثر من شيوعه في أحاديث الرجال، ومن أساليب دعاء حبيبة عمر قولها لجارتها، وهي تقدم لها الإرشادات، لمقابلة عمر وعتابه، وتحذيره من الوشاة[٦]:

وعرفيـــه بـــه كـــالهزل واحتفظـــي　　　فـــي غيـــر معتبـــةٍ أن تغـــضبي الـــرجلا
فـــإن عهـــدي بـــه، والله يحفظـــه،　　　وإن أتـــى الـــذنب ممـــن يكـــره العـــذلا

ومن غريب الدعاء قول أتراب هند صاحبة عمر، يتحببن لها[٧]:

---

(١) م.ن: ٥٩/١.
(٢) م.ن: ١٥٤/١.
(٣) م.ن: ٢٥١/٢.
(٤) م.ن: ١٦١/١.
(٥) م.ن: ١٦٦/١.
(٦) م.ن: ٢٦٩/٢.
(٧) م.ن: ٢١٠/٢.

فقلـــن لهـــا لا شـــبَّ قرنـــك فـــافتحي   لنـــا بابـــة تخفـــي مـــن الأمـــر نـــسمع

ومعنى (لا شب قرنك) لا بلغت مبلغ الشباب، ويقال تحبباً.وقد تكرر هذا الدعاء في قول صديقات الحبيبة ينصحنها ويتحببن لها[١]:

فعجـبن مـن ذاكـم وقلـن لهـا افتحـي   لا شـبَّ قرنـك مفتحـاً مـن بـابِ

ومن الدعاء بالسلامة ما قالته حبيبة عمر تدعو له برعاية الله[٢]:

قالــــت وعيناهـــــا تجودانهـــــا   صـــــوحبت والله لـــــك الراعـــــي

ومن جميل الدعاء: (بالطائر الميمون)، وهو ما دعت به حبيبة عمر له في حوار طويل معه[٣]:

فقالـــت فإنـــا قـــد بـــذلنا لـــك الهـــوى   فبالطـــائر الميمـــون تُلقـــى وتحبـــر

ومن الدعاء بالسلامة، وحفظ الله قول (نعْم) وهي ترحب بعمر[٤]:

فقالـــت وقـــد لانـــت وأفـــرغ روعهـــا   كـــلاك بحفـــظ ربـــك المتكبـــر

ويلحظ التسهيل بتخفيف الهمز في (كلاك) وأصلها (كلأك) أي رعاك. ومن الدعاء بالشر ما دعت به سليمى صاحبة هند على نفسها بالموت، وهي تحاور هنداً بتكليف من عمر، فقالت: لها (مت قبلك) لكن هذا الدعاء وإن كان يصرح بالشر، إلا أنه يعني الدعاء للمخاطب بالبقاء بعد الداعي[٥]:

فـــاقبلي العـــذر مـــت قبلـــك منـــه   وهـــي تـــذري لمـــا عنـــدها الـــدموعا

ومن الدعاء بالشرما جاء في عتاب الرباب الشديد لعمرعلى خيانته:(٥)

إن تجـــد الوصـــال منـــك فإنـــا   قـــبح الله بعـــدها مـــن خـــدعتا
ثـــم لـــم تـــوف إذا حلفـــت بعهـــد   بـــئس ذو موضـــع الأمانـــة أنتـــا

وإذا كان الحلف قد جاء في حديث الرباب، فإنها كررت الحلف مرتين في الموضع نفسه، فقالت[٦]:

مـــن كـــلام كهـــذه ويحلـــف   فلعمـــري فربمـــا قـــد حلفتـــا

كما يلاحظ ورود القسم (بالعمْر) في البيت المار الذكر، فيتراكم هناك القسم والحلف والدعاء، وفي ما يأتي دعاء بالشر، فيه غرابة ظاهرة، ويلحظ فيه قسم أيضاً تقول هن[٧]:

ســـخنت عينـــي لـــئن عـــدت لهـــا   لتمـــــدن بحبـــــل منبتـــــر
عمـــــرك الله أمـــــا ترحمنـــــي   أم لنـــا قلبـــك أقـــسى مـــن حجـــر

---

(١) م.ن: ٥٩/١.
(٢) م.ن: ٢٠٨/٢.
(٣) م.ن: ١٧٢/١.
(٤) م.ن: ١٠٧/١.
(٥) م.ن: ٢٠٥/٢.

وينقل عمر حواراً مع الحبيبة، يتضمن توكيد صدقه في حبها، مشهداً الله عزّ وجل على ذلك، كما يشهد دموعه ، لكن الحبيبة تدعو على نفسها بالعذاب فيقول(١):

يـــــشهد الله علـــى حبـــي لكـــم ودمـــوعي شـــاهد لـــيّ وحـــزنْ
قلـــت يـــا ســـيدتي عـــذبتني قالـــت: اللهـــم عـــذبني إذن

ومن أغرب الدعاء ما ورد على لسان الحبيبة من دعاء بالسلامة، وعلى النحو(٢):

الله جـــار لـــه، إذا نزحـــت دار بـــه أو بـــدا لـــه ســـفر

بمعنى يجيره الله، فهي تتمنى أن يصاحبه الله في سفره وترحاله بهذه الصيغة الغريبة، التي لم نألف مثلها في أحاديث الرجال وأدعيتهم، وعمر نفسه متأثر بهذه اللغة الشائعة في كلام النساء، فنجده يقول طالباً منها أن ترعى فيه حرمة الله فيرقق من لفظ الجلالة، ويسهله، فيجعله (لاه) بدلاً من (الله)، يقول(٣):

قلـــت كـــلا لاه ابـــن عمـــك، بـــل خفنـــا أمـــوراً كنـــا بهـــا أغمـــاراً

وتلجأ النسوة، في الغزل العمري، إلى صيغ الأمر، تحقيقاً للدعاء، ويشي هذا الأسلوب بالتوسل والتمني والإلحاف في طلب الشيء، ومنه دعاء الحبيبة (٤) بالقول:

يـــا رب إنـــي قـــد شـــغفت بـــه أعقـــب فـــؤادي مـــنهم صـــبراً

ومن هذا الأسلوب دعاء (نعم) حبيبة عمر(٥) بالقول:

فـــاجز المحـــب تحيـــة واجـــز الـــذي يبغـــي قطيعـــة حبـــه هجرانـــاً
آمـــين يـــا ذا العـــرش فاســـمع واســـتجب لمـــا نقـــول ولا تُخيـــب دعانـــا

ففي هذين البيتين ستة صيغ دعاء، كلها صيغ أمر وإحداها نهي، وجاءت إحداها بصيغة اسم فعل أمر (آمين)، وفي البيت الأول دعاء بالخير، يقابله دعاء بالشر.

وقريب من معاني الدعاء النذر، والنساء عادة أكثر نذراً بسبب رقتهن وضعفهن، وهذا ما يدعوهن إلى طلب الحماية، والتشبث بالنذور طلباً للمراد، ودرءاً للمخاطر. لذا نجد النذر، يظهر في حواراتهن، ومنه النذر الذي قطعته على نفسها حبيبة عمر، وشكرها للخالق لقاء مجيء البشير بقدوم عمر(٦):

جـــاء البـــشير بأنهـــا قـــد أقبلـــت ريـــح لهـــا أرج بكـــل فـــضاء
قالبـــت لربـــي الـــشكر هـــذه ليلـــة نـــذراً أؤديـــه لـــه بوفـــاء

وهكذا تزدحم أحاديث النساء بهذه الاساليب ، ما يكسبها طعمها الأنثوي الخاص.

ومن المتوقع كثيراً، في أجواء الحب، وما يحيط بها من رقابة وتوجس، وما يسودها من علاقات الجفاء والإخلاف والمفاجأة والتأخر والصدود المتعمد والوشايات، أن يكثر العتاب والاسترضاء، وهذا ما يشوب أحاديث الحبيبة مع عمر، ومع صويحباتها، وهو ما يمنح هذه الحوارات الحيوية والحركة

---

(١) م.ن: ٣٤٤/٢.

(٢) م.ن: ١٥٦/١.

(٣) م.ن: ١٥٣/١.

(٤) م.ن: ١٥٩/١.

(٥) م.ن: ٣٣٩/٢.

(٦) م.ن: ١٦/١.

والجمال، ويشي، في الوقت نفسه، بالسمة الأنثوية فيه. على أن العتاب يكاد يكون أبرز ما ظهر من هذه الموضوعات في أحاديث النسوة، وأكثرها ظهوراً، وأحفلها بتفاصيل للقضايا، التي تهم حياة المرأة، وعاطفتها.

من هذا العتاب ما تؤاخذ به الحبيبة عمر على نكثه العهد، في حين كان ودها متجدداً باقياً طوال حياتها، وما صدود عمر عنها، وغدره بها، وزيارته لأخرى لم تزره، إلا بسبب إطاعة الوشاة. ويشتد العتاب لأن البون بين موقفها وموقفه واضح، وكانت نتيجة هذا العتاب، الذي خالطه انسكاب الدمع، أن رق لها قلب عمر، فأكد لها أنها أحب الناس إليه[(١)]:

فحيَّـــت واســـتهل الـــدمع منـــي	**لعيـــون علــــى خـــد يمـــــور**
فقالـــت حلـــت عـــن عهـــدي وودي	**جديـــد مـــا حييـــت لكـــم يـــسير**
وطاوعـــت الوشـــاة وزرت مـــن لـــم	**يـــزرك وقـــد تبـــين لـــي الختـــور**
ولـــم تـــرعَ الوصـــال كمـــا رعينـــا	**وبانـــت منـــك لـــي عمـــداً أمـــور**
ولـــم تجـــزَ الفـــروض ولـــم تثبهـــا	**وأنـــت لكـــل صـــالحة كفـــور**

هذا العتاب الشديد يعبر عن عاطفة ملتاعة، وفيه صدق، وهو يجري سهلاً، بلغة الحياة اليومية، فليس فيه خيال بعيد أو صور معقدة، وهو قائم أساساً على المقارنة بين سلوكين: سلوك المعاتبة، وسلوك المعاتب، واللهجة النسوية فيه واضحة، وهذا النوع من العتاب لا يمكن أن يصدر عن رجل بحال.

وعتاب المرأة المحبة،في شعر عمر،لا يدانيه عتاب في الشعر العربي، عذوبة ورقة وجمال معان وتأثيراً في من تعاتبه، فضلاً عن وفرته، وتشكيله ركناً من أركان الحوار في القصيدة العمرية.

ومن هذا العتاب الرقيق مؤاخذة الرباب عمر على تغزله بها، وتشهيره ذاكراً اسمها لا كنيتها، مما يتيح الفرصة للوشاة لفضحهما، لذا فهي تطلب إليه اعتزالها، والكف عن مواصلتها[(٢)]:

كتبـــت تعتـــب الربـــاب وقالـــت	**قـــد أتانـــا مـــا قلـــت فـــي الأشـــعار**
ســـادراً، عامـــداً، تـــشهر باســـمي	**كـــي يبـــوح الوشـــاة بالأســـرار**
فاعتزلنـــا فلـــن نجـــدد وصـــلاً	**مـــا أضـــاءت نجـــوم ليـــل لـــسار**

ومن العتاب المؤثر ما قالته الحبيبة لعمر، وهي تبكي، تؤاخذه على هجرها شهراً إلا بضعة أيام، مع أنه قرة عينها، وأعز ما لديها في الدنيا[(٣)]:

تقـــول وعينهـــا تـــذري دموعـــاً	**لهـــا نـــسق علـــى الخـــدين يجـــري**
ألـــست أقـــر مـــن يمـــشي لعينـــي	**وأنـــت الهـــم فـــي الـــدنيا وذكـــري**
أمـــا لـــك حاجـــة فيمـــا لـــدينا	**تكـــن لـــك عنـــدنا حقـــاً فـــأدري**
أمـــن ســـخط علـــيّ صـــددت عنـــي	**حملـــت جنـــازتي وشـــهدت قبـــري**
أشـــــهراً كلـــــه إلا ثلاثـــــاً	**أقمـــت علـــى مـــصارمتي وهجـــري**

---

(١) م.ن: ١/١٦٦.

(٢) م.ن: ١/١٥١.

(٣) م.ن: ١/١٥٠.

ومشاهد العتاب هذه، على هذا النحو من الانفعال العاطفي، وإظهار الرغبة في التواصل واللوم على الصدود، لا يمكن بحال إلا أن تكون أنثوية الأسلوب، فالمرأة تتقن لغة الدموع، وصولاً إلى تحقيق غاياتها، التي تتراوح بين التعبير عن الألم، والعجز عن النطق والتعبير عن الفرح، أو شكوى ألم الفراق.

لقد أفضى العتاب إلى البكاء، على الرغم من محاولة الحبيبة كف الدموع، أو منعها، لكن دموع الحبيبة أقوى من ذلك [(١)]:

تبكي علينا إذا ما أهلها غفلوا ... وتكحل العين من وجد بنا سهدا
حريصة أن تكف الدمع جاهدة ... فما رقا دمع عينيها، وما جمدا

ومن المتوقع أن يجر العتاب إلى دور الرقباء والوشاة في تصدّع العلاقات، لذا نجد الرقباء والوشاة في حوار النسوة في ما بينهن، أو بحضور عمر، أو حواراته مع الحبيبة. والأمثلة كثيرة في هذا الموضوع.

خصائص لغة المرأة في الشعر العمري:

تتسم أحاديث النسوة، في الغزل العمري، بأنها من لغة الحياة اليومية المتداولة، وأن ألفاظها مما يشيع بين النسوة عادة، حين يتحدثن بالشؤون العاطفية الخاصة، لا ما يتحدثن به مع آبائهن وإخوانهن وذويهن في الشؤون العامة والخاصة، وأن أساليب هذه الأحاديث تحمل سمات خاصة تطبع لغة المرأة عامة بميسمها.

ولغة النساء، في حياتهن اليومية عادة، سهلة بسيطة في تراكيبها ،منسابة لينة في أبنيتها وتعابيرها، وألفاظها، ميالة إلى الإيجاز والوضوح، إلا إذا أرادت المرأة أحياناً أن تخفي أمراً ما، فتعمد حينئذٍ إلى الغموض أو الرمز، وقد تعمد إلى الإشارة بيدها أو عينها أو رأسها.

ولا شك في أن أحاديث نسوة عمر تتضمن مقاطع من حكايات ومغامرات وقصص غرامية، وبذا تكون لغتها مشتقة حتماً من الواقع، وقريبة من أجوائه، ومتأثرة بطبيعته، ومن ثم فإن السهولة والبساطة متوافرتان فيها[(٢)].

ومن هذه الأساليب التي تمنح لغة المرأة بساطتها وخفتها، أنها تعمد إلى (التسهيل) الذي تحققه غالباً،بترك (الهمزة) فتصبح اللفظة سهلة الجريان على اللسان، حلوة الوقع في الأذن. وبحسب ما ذكره (ياسين الأيوبي) في حذف الهمزة: بأن حذفها يكون تخفيفا وتسهيلا، ومراعاة للوزن الشعري،وهو جائزلدى النحاة،لأن الهمزة معرضة للحذف،بسب تنقلهاعلى حروف العلة الثلاث بحسب حركتها[(٣)].

والهمزة صوت شديد، مخرجه من الحنجرة، فمن التسهيل بترك (الهمز) ما جاء على لسان حبيبته (نعم)، من قصيدة يتعاتبان فيها بشأن رسالته[(٤)]:

قالت لقد كذب الرسول فقدته ... أبقول زور يرتجي إحساناً
بل جاءني فقرأته متهللاً ... وجهي وبعد تهلل أبكانا
قد قلت حين رأيته لو أنه ... يا(بشر) منه سوى نصيرة جانا
أرسلت أكذب من مشى وأنمه ... من ليس يكتم سره أعدانا
صرحت فيه وما كتمت مجاهراً ... بالقول إنك لا تريد لقانا

---

(١) م.ن: ٨٨/١.

(٢) ينظر عبد الفتاح نافع: الحوار في غزل عمر، م.س، ص ٩.

(٣) ينظر ياسين الأيوبي: م.س، ص٢٧٨.

(٤) م.ن: ٣٤٠/٣٣٩/٢.

فالتسهيل بادٍ في قولها (جانا) بدلاً من (جاءنا)، وفي (أعدانا) بدلاً من (أعداءنا)،و(لقانا) بدلاً من (لقاءنا)، إذ يقصرهما، وكثير من أبيات هذه القصيدة محمل بالتسهيل، الذي فرضه نوع الخطاب المكرس لعتاب بشأن رسالة ورسول بين الحبيبين، ومن التسهيل في القصيدة نفسها[١]:

آمين يا ذا العرش فاسمع واستجب لما تقول ولا تخيب دعانا
أنبئت أنك إذا أتاك كتابنا أعرضت عند قراتك العنوانا

فالتسهيل جاء في (دعانا) و(سانا) و(قراتك) وأصلها (دعاءنا) و(ساءنا) و(قراءتك). ومن التسهيل بترك الهمز، وهو ما تسترعي النظر كثرته في الغزل العمري قوله[٢]:

فتذوقان بعض ما ذقت منها أو تدابان لنا حِقبة مثل دابي

فأصل الكلمتين (تدأبان) و(دأبي) بالهمزة. ومن حذف الهمز أيضاً للتهسيل، في غزل عمر، قوله[٣]:

وتنو فتصرعها عجزيتها مشي الضعيف يؤوده البهر

وأصل (تنو) تنوء، ومن التسهيل حذف الهمزة في (بطأ) فصارت (بطا)[٤]:

فقمت أمشي وقامت وهي فاترة كشارب الخمر بطا مشيته السكر

ومن أساليب التسهيل، التي تشيع في الغزل العمري، العمد إلى حذف بعض حروف الكلمة ترشيقاً لها، وترقيقاً، لتكتسب جرساً حلواً، يزين كلام المرأة ويحليه، ومن ذلك حذف الألف المقصورة من الفعل (تولى)، ليصير (تولّ) فيرق، ويلائم القافية أيضاً[٥]:

ونبك وهل يرجعن البكا علينا زماناً لنا قد تولّ

ومن التسهيل بحذف الحرف قوله مسهلاً الفعل (ظللنا) بحذف لام منه ليصبح (ظلنا) بلام واحدة قوله[٦]:

فظلنا لدى العصلاء تلفحنا الصبا وظلت مطايانا بغير معصر

والتسهيل ملائم لحديث المرأة، ومناسب للغة الغزل،لما يتوافر عليه من رقة وعذوبة،ومن هذا النوع حذف حرف النون من قوله[٧]:

فملآن يثن الصبر نفسي أو تمت إذا انبت حبل من حبالك فانقضب

الأصل (فمن الآن) وقد حذفت النون تسهيلاً، ومثل هذا حذف النون في (من الأشياء) لتصبح ملأشياء، وقد تكرر ذلك في حوارات النسوة ومنه[٨]:

---

(١) م.ن: ٣٣٩/٢.

(٢) م.ن: ٥٣/١.

(٣) م.ن: ١٦٠/١.

(٤) م.ن: ١٢٩/١

(٥) م.ن: ٢٨٩/٢.

(٦) م.ن: ١١٤/١.

(٧) م.ن: ص٦٤.

(٨) م.ن: ٢٥٥/٢.

فمـا آنـس ملأشـياء لا أنـست مـوقفي   وموقفهـا وهنـا بقارعـة النخـل

وفضلاً عن توافر أساليب التسهيل، في الجمل الحوارية، تبرز ظاهرة ولع النسوة بالجمل القصيرة والجمل الاعتراضية، وتمدنا حوارات النسوة بوفرة من الشواهد على هذا الولع. أما الجمل الاعتراضية فقد ظهرت على نحو خاص وبكثرة في الدعاء والقسم والاستحلاف. والمرأة بعامة معروفة بجملها القصيرة(١).

وحوار النسوة، في الشعر العمري، مطعّم بالجمل الاستفهامية القصيرة، مثبتة ومنفية. فقصيدة عمر الرائية، في مغامرته الليلة، يقوم حوارها على وفرة من الجمل الاستفهامية(٢):

بآيـة مـا قالـت غـداة لقيتهـا   بمـدفع أكنـانٍ أهـذا المـشهَّر
أشـارت بمـدراها وقالـت لأختهـا   أهـذا المغيـري الـذي كـان يـذكر
أهـذا الـذي أطريـت نعتـاً فلـم أكـن   وعيـشك أنـساه إلـى يـوم أقبـر
وقالـت وعـضت بالبنـان فـضحتني   وأنـت امـرؤ ميـسور أمـرك أعـسر
أريتـك إذ هنـا عليـك ألـم تخـف،   وقيـت، وحـولي مـن عـدوك حُـضر
فـوالله مـا أدري أتعجيـل حاجـة   سـرت بـك أم قـد نـام مـن كنـت تحـذر

فالجمل الاستفهامية عماد هذه المشاهد الحوارية. ويلحظ في الحوار توافر الأساليب المختصة بالمرأة والقريبة من لغتها، كالقسم والدعاء واعتماد الإشارة،والعض على البنان، وقولها (فضحتني)،وهي مفردة تنفرد بها المرأة، وفي القصيدة جمل استفهامية غير قليلة، بل إن مطلع القصيدة مبني على الاستفهام:

أمـن آل نعـم أنـت غـادٍ فمبكـر   غـداة غـد، أم رائـح فمهجـر

ويلاحظ أن هذه الجمل الاستفهامية ميالة إلى القصر، مطاوعة للحوار،تأكيداً للمعنى المستفهم عنه. والمشهد الحواري الآتي، بين الأخوات الثلاث، قائم على الأسئلة القصيرة(٣):

بينمـا يـذكرنني أبـصرنني   دون قيـد الميـل يعـدو بـي الأغـر
قالـت الكبـرى أتعـرفن الفتـى   قالـت الوسـطى، نعـم هـذا عمـر
قالـت الـصغرى وقـد تيمتهـا   قـد عرفنـاه وهـل يخفـى القمـر

ولا عجب أن تكثر الأسئلة القصيرة هذه الكثرة، في أحاديث نسوة عمر وحواراتهن، فالدراسات اللغوية تؤكد أن المرأة " تميل إلى البناء النموذجي للتركيب والأسئلة القصيرة التي تظهر النبرة التساؤلية عند تأكيد شيء"(٤).

ويلفت النظر في حوار النسوة العمريات، قلة أفعال الأمر وأساليب الطلب الأخرى، وهذا ما يتلاءم مع ميول النساء، اللواتي لا يملن إلى فرض الرأي ويلجأن إلى الأساليب المتسمة بالأدب والرقة، لتحقيق طلباتهن(٥). غير أنه يلحظ ورود أفعال الأمر، في سياق الدعاء، كما نجده في دعاء الرباب(٦):

---

(١) عيسى برهومة: اللغة والجنس، ١٣٣؛ وينظر ياسين الأيوبي: عمر بن أبي ربيعة، ص ٢٨١.

(٢) ديوان عمر: ١/١٠٥، ١٠٧.

(٣) م.ن: ١/١٤٨.

(٤) عيسى برهومة: اللغة والجنس، ص ١٢٦.

(٥) م.ن: اللغة والجنس، ص ١٢٧.   (٤) ديوان عمر:١/١٥٨

يـــا رب إنـــي قـــد شـــغفت بـــه — أعقـــب فـــؤادي مـــنهم صـــبرا

كما يرد فعل الأمر في سياق الرجاء، في حوار الأتراب، وطلب بعضهن من الأخريات القيام بأمرها. وإذا كان هذا الحوار أصلاً من إنشاء عمر نفسه،فإنه يحمل بوضوح ودقة سمات أسلوب المرأة، وخصائص لغتها، حتى لكأنه حديثها واقعاً وفعلاً، وما ذلك إلا لبراعة عمر في اصطناع لغة النساء، وهو يصوغ حواراتهن التي تناسب شخصياتهن. وأشار إلى ذلك (عبد الفتاح نافع)، بقوله فلقد كان لعمر "قدرة عجيبة في نقل عبارات النساء حين يخلون إلى أنفسهن يتهامسن ويتحدثن ويفكرن"[(١)].

وكان عمر على حد وصف (جبرائيل جبور): "ينقل حديث المرأة كما هو دون تعجل وتصنع"[(٢)].ويجسد على نحوٍ أدق،هذه الخصيصة حكم الناقد (ياسين الأيوبي) بقوله: "إن القصيدة العمرية لم تكن من تأليفه، ونظمه وحده، بل شارك في ذلك كل من المرأة وأعوانها، ورفاق الشاعر"[(٣)].

وأجواء الانتظار والترقب وتوقع إخلاف المواعيد، تجعل من التمني أسلوباً حاضراً في حوار النساء، وهذا ما نجده في تمني (قريبة) أن تفتدي عمر، حين رأت سقمه بجسمها[(٤)]:

قالـــت قريبـــة لمـــا طـــال بـــيَّ ســـقمي — وأنكـــرتْ بـــيّ: انتقـــاص الـــسمع والبـــصر
يـــا ليتنـــي أفتـــدي مـــا قـــد تهـــيم بـــه — ببعض لحمـي وبعض الـنقص مـن عمـري

وهذه التفدية ببعض لحم الجسم والنقص في العمر، أسلوب نسائي لا نجد مثيله في لغة الرجال، ومثل هذا التمني ذي الأسلوب النسائي ما تمنته عفراء،من الموت لأن عمر يريد مغادرتها فيقول[(٥)]:

تقـــول إذ أيقنـــت إنـــي مفارقهـــا — يـــا ليتنـــي مـــت قبـــل اليـــوم يـــا عمـــر

ومما لوحظ، في أثناء البحث في حديث المرأة وحوارها في الشعر العمري، كثرة المفردات التي تعبر بها صويحبات عمر عن فزعهن، وكثرة شكواهن من إخلاف عمر الوعود، وانصرافه إلى معجبات جديدات. ومن أمثلة هذه الألفاظ، (فضحتني) و(صرمت حبلي)، و(يا لشقوتي)، و(شؤم جدي)، و(دسست رسولاً)، وما يتعلق بلطم الخد وعض البنان، والتخفي والتستر، والفزع مما يخبئه لهن القدر.

ويلحظ كثرة الحوار في ما بين الصويحبات، في ما يتعلق بالهجر والصرم، ووصف قوام المرأة، والإشارة إلى وسامة عمر وإعجابهن به وتمنيهن لقياه، والإشارة إلى ملابسه وطيبه، وحصانه وناقته ولونهما، وما يتصل بالمواعيد، وضرب الأجل، واصطناع أساليب إيواء عمر، وتدبير هروبه.

وفيما يتعلق بزيارات عمر السرية، وأساليب استقباله والترحيب به، وإخفاء زيارته وتأمين مغادرته، نجد كثرة ذكر الوشاة والرقباء، وأساليبهم الخبيثة في الرقابة، وتصيد الزورات واللقاءات، ومشاهد الوداع، وما يحدث فيها من بكاء وذرف الدموع.

ويكثر في أحاديث النساء، وصف الحركات والإشارات، وطرائق التصدي لعمر، وإرشاده إلى سبل الوصول والمغادرة، أو إشعاره بالتريث في الزيارة والتعجل بالانصراف.

---

(١) عبد الفتاح نافع: م.س، ص٧.

(٢) جبرائيل جبور: عمر بن أبي ربيعة، ط٢، بيروت، ١٩٧٩، ٤٧٠/٣.

(٣) ياسين الأيوبي: عمر بن أبي ربيعة ،ص ٢٢١.

(٤) ديوان عمر: ١٣٣/١.

(٥) ديوان عمر: ١٣٨/١

ويكشف حوار النسوة في ما بينهن عن غير قليل من طبائع المرأة،وما تتميز به من دقة في الملاحظة، وفراسة في تبين ما توحيه ملامح الوجه من معانٍ مضمرة في النفس. يظهر ذلك في ما كشفته صويحبات عمر في عيني حبيبته من شوق إليه[١]:

فعـــرفن الـــشوق فـــي مقلتهـــا — وحبـــاب الـــشوق يبديـــه النظـــر
قلــــن يـــسترضينها: منيتنـــا — لـــو أتانـــا اليـــوم فـــي ســـرٍّ عمـــر

وهذه الفراسة في استقراء المعاني والنوايا في ملامح الوجه والعين من كلمات الصويحبات، فهن قادرات على قراءة الإشارات غير الشفوية، والتعرف على أدق التغيرات التي تطرأ في وجوه جليساتهن[٢].

وعمر نفسه أشار إلى معرفة حبيبته، وأترابها بخبايا النفوس العاشقة[٣]، وهو يصف هن بالطبيبات، أي العوارف بخبايا النفوس، والحكيمات في تصرفهن[٤] يقول:

فلمـــا اقتـــصرنا دونهـــن حـــديثنا — وهـــن طبيبـــات بحاجـــة ذي التبـــل
عـــرفن الـــذي تهـــوى فقلـــن لهـــا إئـــذني — نطـف سـاعة فـي طيـب ليـل وفـي سـهل

كما يكشف حوار النساء عما يعتقدنه من خرافات، وما يتطيرن منه، ويتفاءلن به من أمور وإشارات، من ذلك اعتقادهن بأن خلجان العين يبشر بقدوم عزيز، وهذا ما نجده في قول حبيبة عمر لأترابها[٥]:

فقالـــت لأتـــراب لهـــا ابـــرزن إننـــي — أظـــن أبـــا الخطـــاب منـــا بمحـــضر
قريبـــاً علـــى سـمت مـــن القـــوم تتقـــي — عيـــونهم مـــن طـــائفين وســـمَّر
لـــه اختلجـــت عينـــي، أظـــن عـــشية — وأقبـــل ظبـــي ســـانح كالمبـــشر

وما نجده أيضاً في قول حبيبته الأخرى[٦]:

فلمـــا اكفهـــر الليـــل قالـــت لخـــرد — كواعـــب فـــي ريـــط وعـــصب مـــسهم
لقـــد خلجـــت عينـــي وأحـــسب أنهـــا — لقـــرب أبـــي الخطـــاب ذلـــك مزعمـــي
فقلـــن لهـــا: أمنيـــة أو مزاحـــة — أردت بهـــا غيـــب الحـــديث المـــرجم

ويتكرر ذكر المرأة اختلاج العين والتفاؤل به في شعر عمر، والاعتقاد ببشارة، خلج العين شائع إلى اليوم في الأوساط الشعبية.

---

(١) ديوان عمر: ١٤٧/١.

(٢) عيسى برهومة: اللغة والجنس، ص ١٤٥–١٤٦.

(٣) ينظر عبد الفتاح نافع: الحوار في غزل عمر، ص ٤٢.

(٤) ديوان عمر: ٢٥٧/٢.

(٥) ديوان عمر: ١١٥/١.

(٦) م.ن: ٢٩٤/٢.

الخاتمة:

لقد كشفت دراسة شعر عمرعن وفرة من المفردات والتعابير الخاصة بالمرأة ، وقد تبدى ذلك واضحا في الحوار على نحو خاص،لاسيما حوار عمر مع حبيباته،أو حوار النسوة من أتراب حبيبته وصويحباتها،كما تبدىمن خلال رسائل عمرإلى حبيباته التي فيها نصوصا من رسائلهن إليه. إذ كان حريصاً على نقل أحاديث النسوة ومحتويات رسائلهن بلغتهن،وهذا ما أكده دارسو شعر عمر

وإذا كان البحث قد عني بلغة المأة وأساليب حديثها العصر الأمي ،وفي الحجاز بخاصة،فإن نتائجه يمكن أن تفيد في الكشف عن خصائص لغة المرأة العربية بعامة.

وفي نتائج البحث ما يمكن أن يوظف في فهم طبيعةالمجتمع والحياة،ولا يقتصر على جانب اللغة.

ثبت المصادر والمراجع

المصادر

- ابن الجوزية، ابن القيم الجوزية: أخبار النساء،شرح و تحقيق نزار رضا، دار الحياة، بيروت، ١٩٦٤.
- ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٠.
- الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، دار الكتب، ١٩٦٣.
- عمر بن أبي ربيعة: ديوانه، ج١ + ٢، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ١٩٨٠.

الـمـراجــع:

- أبو ريشة، زليخة: أنثى اللغة أوراق في الخطاب والجنس، دار نينوى، دمشق، ٢٠٠٩.
- أسعد، فاورق: غراميات عمر بن أبي ربيعة أخباره وشعره، دار الآفاق، بيروت، ١٩٩٧.
- الأيوبي، ياسين: عمر بن أبي ربيعة رائد الشعر الجمال والغزل الصريح، رشاد برس، بيروت، ٢٠٠٩.
- بركات، إبراهيم: التأنيث في اللغة العربية، دار الوفاء، المنصورة، ١٩٨٨.
- برهومة، عيسى: اللغة والجنس، حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٢.
- بشرى محمد علي الخطيب: القصة والحكاية في الشعر العربي في صدر الإسلام والعصر الأموي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠.
- بكار، يوسف: اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، دار الأندلس، ط٢، بيروت، ١٩٧٩.
- تيلمة، عبد المنعم: مدخل إلى علم الجمال الأدبي، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٨.
- جبور، جبرائيل: عمر بن أبي ربيعة، ج ١-٣، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٩.
- خفاجي، عبد المنعم: الحياة الأدبية في عصر بني أمية، دار الكتاب اللبناني، ط٢، بيروت، ١٩٧٣.
- سباعي، محمد أحمد: الحب والشعر في حياة عمر بن أبي ربيعة، دار الشعب، القاهرة، ١٩٨٨.
- سحار، عبد الحميد جودة: القصة من خلال تجاربي الذاتية، معهد الدراسات العالمية، القاهرة، ١٩٦٠.
- سركيس، إحسان: الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية، ١٩٨١.
- سلوم، داود وإنعام: أثر المرأة في الأدب العربي، دار الضياء، عمان، ٢٠٠٦..
- ضيف، شوقي: - العصر الإسلامي (تاريخ الأدب العربي)، ط٤، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣.
  - التطور والتجديد في الشعر الموي،ط٦،دار المعارف،القاهرة،١٩٧٧
- عباس، شادان جميل: عمر بن أبي ربيعة في الخطاب النقدي العربي الحديث، دار دجلة، عمان، ٢٠٠٧.
- عمايرة، إسماعيل أحمد: ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية والسامية، ط٢، دار حنين، ١٩٩٣.
- عودة، خليل: صورة المرأة في شعر عمر بن أبي ربيعة، دار نشر (بلا)، ١٩٨٨.

- الغذامي، عبد الله: اللغة والمرأة ثقافة الوهم، مقاربة حول المرأة والجسد واللغة، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ١٩٩٨.
- فهمي، ماهر حسن: نزار قباني وعمر بن أبي ربيعة، دار نهضة مصر، القاهرة، (بلا سنة نشر).
- فيصل، شكري: تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٩.
- القط، عبد القادر: في الشعر الإسلامي والأموي، دار النهضة، ١٩٧٩.
- اللبيب، الطاهر: سوسيولوجيا الغزل العربي، ترجمة المناوي، الدار البيضاء، ١٩٨٧.
- مبارك، زكي: حب ابن أبي ربيعة وشعره، المكتبة العصرية، بيروت، ط٤، ١٩٧١.
- محي الدين، محمد: شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، مطبعة المدني، ط٣، القاهرة، ١٩٦٥.
- ناصيف، إميل: عمر بن أبي ربيعة، جروس برس، لبنان، ١٩٩٢.
- نافع، عبد الفتاح: الحوار في غزل عمر بن أبي ربيعة، الوكالة العربية، عمان، ١٩٨٤.
- نسيب، إملين: العشاق العرب، سلسلة المعرفة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٣.
- هدارة، محمد مصطفى: الشعر العربي في القرن الأول الهجري، دار العلوم، مصر، ١٩٨٨.
- يونس، محمد: عمر بن أبي ربيعة شاعر الجمال المترف، بيت الحكمة، ط٢، بيروت، ١٩٧٩.

الدوريــات:

- السنجلاوي، إبراهيم موسى: قراءة ثانية في بعض جوانب رائية عمر بن أبي ربيعة، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، الأردن، مج٢، عدد (١)، لسنة ١٩٨٧.
- صالحي، عزمي وربيع، محمد أحمد: القصيدة الرسالة في شعر عمر بن أبي ربيعة، مجلة كليةالآداب جامعة طنطا، ع٢٢ ، سنة ٢٠١٠.